مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189
مجلد: 10 عدد 2 ديسمبر 2019
ص.ص 120-158
تجليات المثاقفة التناصية

تجليات المثاقفة التناصية وأثرها في تشكيل النص التفسيري في ظلال القرآن لسيد قطب أنموذجا

شعبان بهلول
جامعة سعيدة ، chaabanedahabi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 24/ 07/ 2019؛ تاريخ القبول: 05/ 11/ 2019

The manifestations of the intertextuality acculturation and her effect in formation theexplicatory dialogical text "In the shadows of the Qur'an of Said Qotob, sample"

Abstract:

this article is one of the contemporary studies which deals with the Quranic text from culturalsim side, by evoking the culture of the other from various sciences and make it as source of knowledge to study the Quran whenever the context requires it, which leads to a positive critical effectiveness, expanding the domain of authorship and open a space of reading to other because the Qur'anic text is adressed to the whole world,so the text freedom appears when it anables the other to access to an another text in term of culturalism These which appear on the form of receiving foreign text so the production of the other.

المؤلف المراسل: شعبان بهلول
chaabanedahabi@gmail.com

Keywords: the text; Qur'an-intertextuality; cultural; criticism.

الملخص :

يتعرض هذا المقال إلى إحدى القراءات المعاصرة التي تناولت قراءة النص القرآني من أبواب المثاقفة، وذلك باستدراج ثقافة الآخر من شتى العلوم لجعلها سندا معرفيا لدراسة القرآن كلّما تطلب السياق ذلك. ولقد كان لهذا الاستحضار النصي فاعلية نقدية إيجابية في توسيع دائرة التأليف، وفتح فضاء قرائي للآخر، بما أن النص القرآني خطاب موجه للعالمين، وهنا تجلت حرية النص في الولوج إلى نص الآخر في إطار المثاقفة التناصية، تلك التي تجلت في استقبال النص الأجنبي ضمن صفحات الظلال، فحضر فيها إنتاج الآخر.

كلمات مفتاحية: النص؛ القرآن؛ التناص؛ النقد؛ الثقافي.

مقدمة:

إنّ الهدف من هذا المقال يكمن في تناوله لإحدى التفاسير المعاصرة التي تبنت مداخل قرائية جديدة، آخذة بعين الاعتبار سياقات العصر الفكرية والثقافية، فصاحب الظلال سيد قطب قد اعتمد استراتيجية تتناسب مع تطلعات القارئ المعاصر من حيث واقعه واهتماماته وطموحاته، وهو يتقرب من أعظم كتاب عرفته البشرية، وأقدس كتاب

أنزل على وجه الأرض على الاطلاق، ولقد عمل المؤلف على استثمار ثقافته الأدبية والجمالية دون إغفال ما عرفته الساحة الثقافية العالمية من إنتاج علمي وإنساني متنوعين.

أما فكرة المقال جاءت لتنظر في هذا الوافد الجديد من ثقافة الآخر لدراسة النص القرآني كآلية قرائية، تندرج ضمن مكونات المنهج المتكامل لتساهم أولا، في إنتاج وتعميق النص التفسيري الظلالي، كما تدخل ثانيا، ضمن فضاء مفتوح أمام ثقافة الآخر لعلها تفيد أكثر في فهم النص، وتعطي حرية التواصل والتبادل الثقافي لفهم الكثير من القضايا التي قد تعترض الفكر الإنساني.

فالنص الظلالي قد أحدث طفرة متميزة بولوجه ثقافة الآخر واستدراجها لفهم هذا النص، إما استشهادا أو نقدا، ذلك أن صاحب الظلال كان يعتقد أن كتاباته ليست موجهة للقارئ العربي المسلم فحسب، بل إنها تخاطب كل قارئ، متعدد الجنس، متنوع الثقافة،ولأهمية كتاب (في ظلال القرآن) وخاصيته العالمية، فقد ((ترجم إلى العديد من اللغات الأجنبية، مثل الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والأوردية والإندونيسية وغيرها، فكان من أكثر الكتب الإسلامية انتشارا في هذا القرن))-(صلاح عبد الفتاح الخالدي،

1994-549)، ومن ثم حمل هذا النص صفة الخطاب الشامل، إذ ((تكتسي محاولة سيد قطب أهمية على صعيد التطبيق النقدي. فقد سعى في كتابه (النقد الأدبي: أصوله ومناهجه- 1948-) إلى الاستشهاد بنصوص تؤكد بعدا عالميا يمتد من الهند إلى أوربا مرورا بالعالم العربي، وذلك للتأكيد على أنه يسعى نحو فتح آفاق الثقافة العربية على الثقافات الأخرى لبعث روح التجدد في أنحائها، وإن كان حرصه على الاستشهاد بطاغور والخيام يحمل إيحاء إلى كَسْرِ التمركز الغربي في التيار النقدي الأدبي السائد في العالم العربي آنذاك))-(الرويلي ميجان/ البازعي سعد 2007: 364-365).

تأتي هذه المقالة لتقف على إشكالية الطبيعة التي تتصف بها هذه النصوص المتعددة والمتنوعة، تلك التي استُمِرَت في قراءة آيات النص القرآني، وأثرها الثقافي في فتح أبواب التواصل والتحاور مع الآخر من خلال تسطيح النص بإنتاجه المتنوع، قديما وحديثا، ولذلك فالمقال يطرح الكثير من الأسئلة على رأسها؛ ما قيمة هذه النصوص معرفيا وثقافيا وهي تلج عالم النص المُفَسِّر؟ ما القيمة العلمية التي حققها المنتوج الخطابي الظلالي بهذا الرؤية في الكتابة وفق حركة فكرية تاريخية تواصلية ثقافية؟ ما أثر وقيمة الآليات الحجاجية والإقناعية في محاورة

الآخر انطلاقا من ثقافته وإرثه؟ ما حدود فضاءات الانفتاح والانغلاق؟ تلك هي بعض من الأسئلة التي ستعالجها هذه الورقة مع غيرها من مكونات الإشكالية في إطار المثاقفة التناصية.

تكمن أهمية هذا المقال في عرضه لجملة من النصوص المتنوعة التي أراد بها صاحب الظلال ترجمة الدلالات الخفية عن القارئ بتوسل مناصات كالتاريخ والأدب والعقيدة، وعلوم النفس والاجتماع، تلك التي أنتجتها الثقافة الغربية، أما منهج الدراسة فقائم على مقاربة وصفية تحليلية، تشكلت وفق مخطط ينطلق أولا بالوقوف على تحديد المفاهيم والمصطلحات، ثم عرض أهم النصوص المدرجة وفق تجليات المثاقفة.

تبرز قيمة البحث في أنه يطرح جوانب قرائية من وجهة منهج شخصية فكرية وأدبية،أثارت جدلا واسعا، عربيا وإسلاميا، وحتى عالميا ومازالت،ولاسيمافي مقارباتها الفكرية والعقائدية،وطرق تعاملها مع القرآن من خلال إسقاطات تشخيصية وعلاجية لأوضاع العالم الإسلامي خصوصا، والبشرية عموما،حول طرق إصلاح الأمة ودعوتها إلى استئناف الحياة الإسلامية، والتطرق إلى جوانب مهمة من حياة البشرية بجرأة لامثيل لها في تاريخ الفكر العربي والإسلامي والإصلاح السياسي، وتحرير الإنسان من كل عبودية،إذوجه سيد قطب نَقْدا حادّا

للأنظمة السياسية العالمية، وللمذاهب الاقتصادية والثقافية والنظم المالية، وَبعْدَ المعالجة يقدم هذا المفكر المخرج الوحيد للبشرية من تيه الإلحاد وشقوة الضلال، وذلك لا يتحقق إلا بالعودة إلى رب العالمين، وإلى دين الفطرة.

ذلك هو صاحب كتاب ((في ظلال القرآن))، أحدث تفسير عرفته الساحة الدينية والثقافية والفكرية، إنه ((سيد قطب بن إبراهيم من مواليد (1324-1386ه/ 1906-1966م)، كاتب، عالم بالتفسير، من كبار المفكرين الإسلاميين والأدباء في مصر في الثلث الثاني من القرن العشرين، ومن شهداء النهضة الإسلامية الحديثة، ولد في قرية ((موشه أو موشا))، إحدى قرى محافظة أسيوط،تعلم بالقاهرة، وتخرج بكلية دار العلوم،عام (1353ه/ 1934م)، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي ((الرسالة)) و((الثقافة))، واشتغل بالتدريس في المرحلة الابتدائية، ثم عين موظفا في ديوان وزارة المعارف،وشغل عدة وظائف فيها، منها مراقبا فنيا ثم مدير مكتب وزير التربية، أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا في بعثة رسمية تربوية ميدانية، للاطلاع على مناهج التربية والتعليم هناك، وأقام في أمريكا عامين، وعاد عام (1951م)، فانتقد البرامج المصرية التي تنتهجها الوزارة، وكان يراها من وضع الإنجليز لتنفيذ

مخططاتهم الاستدمارية، وطالب الدولة بوضع برامج جديدة تتماشى والفكرة الإسلامية، فاختلف مع كبار موظفي وزارة المعارف، وقدم استقالته من الوزارة بعد قيام الثورة بشهور، بعد خدمة قاربت تسعة عشر عاما))-(نويهض عادل، 1983، 219)، وهو الذي ((بشر بالثورة، ودعا إليها في عهد الملكية، وساعد في التمهيد والتخطيط لها. ولّما قامت، عمل مع رجالها في أول عهدها. ولما وقف على أهدافهم التي تتعارض مع أهدافه الإسلامية، فاصلهم وفارقهم وابتعد عنهم))- (صلاح عبد الفتاح الخالدي، 1994-16).

تعرف في القاهرة على عباس محمود العقاد الذي سيصبح أستاذه المفضل، كان ملازما لأستاذه العقاد منافحا ومدافعا عنه، فأخذ منه جلّ وقته، وغلب على فكره. انتظم في شبابه مع حزب الوفد، وبقي فيه حتى عام (1932م)، وكتب في صحف ومجلات الحزب مقالات وأبحاثا كثيرة، نشر فيها قصائد عديدة. بقي بعد ذلك أكثر من عشر سنوات بدون انتماء فعليّ لأي حزب أو جماعة أو تنظيم، إلى أن وجد ضالته في (جماعة الإخوان المسلمين) التي انتظم فيها عمليا عام (1953م)، ومضى بقية عمره معها.((فكان من أشد أنصارها، وترأس قسم نشر الدعوة وتولى

جريدة ((المسلمون)) ما بين عامي (1953-1954م) الناطقة باسمهم))- ((نويهض عادل، 1983، 219)).

مرت حياته في مجال التأليف والكتابة والفكر بأطوار متعددة، إذا كانت اهتماماته في شبابه أدبية نقدية، فمارس وظيفة النقد سنوات عديدة، وكتب العديد من المقالات النقدية، كما نشر كتبا نقدية أيضا، بالإضافة إلى تنظيم القصائد الشعرية الرفيعة ونشر ديوانا ضمنه بعض تلك القصائد))-(ينظر، صلاح عبد الفتاح الخالدي، 1994- 15-16)

عرفت حياته في الطور الأول أي ما بين عامي (1925م) إلى غاية عام (1940م) ضياعا فكريا نتيجة لانتشار الثقافة الغربية وتمكنها من جيل تلك الحقبة، ولكن سيدا القروي صاحب الجذور الأصيلة لم يسقط في الجانب السلوكي، وإنما كان هذا التيهفكريا، أما الطور الثاني كان بداية الأربعينيات فعرفت حياته اتجاها جديدا، إنها مرحلة طور الأدب الإسلامي، والتوجه نحو القرآن والدراسات الإسلامية،((فأقبل في الأربعينيات على القرآن الكريم، يدرسه دراسة أدبية ونقدية، وفكّر في إصدار (مكتبة القرآن الجديدة)، ثم صار يدرس الإسلام دراسة فكرية نظرية، وأصدر عدة كتب في ذلك.إذ نقله القرآن نقلة جديدة، حيث قاد خطواته إلى طريق الدعوة والعمل والمجاهدة، فسار في هذا الطريق، وقدم

للدعاة بعض معالمها. ودرس القرآن أثناء هذا السير، وقدم في تلك الدراسة في تفسيره(في ظلال القرآن)))- (صلاح عبد الفتاح الخالدي، 1994-16)،ويلخص أحد المفكرين والفلاسفة المعاصرين حياة سيد قطب في قوله: ((هو الإمام الشهيد عند الإسلاميين، وهو المفكر الشهيد عند مجموع المفكرين. وهو الناقد الأدبي عند جماهير النقاد، وهو الشاعر الرومانسي المنتسب إلى مدرسة (أبو للو)، والحقيقة أنّ سيد قطب له جوانب متعددة طبقا لمراحل حياته، فهو الشاعر الرومانسي في العشرينيات (1925-1945م)، وكاتب قصص الأطفال، وهو الناقد الأدبي في الأربعينيات (1945-1950م) في (النقد الأدبي أصوله ومناهجه)،(التصوير الفني في القرآن)، (مشاهد القيامة في القرآن). وهو المفكر الإسلامي في الخمسينيات (1950-1954م)، ابتداء من (العدالة الاجتماعية في الإسلام)(1949)، (معركة الإسلام والرأسمالية) (1950)، (السلام العالمي والإسلام) (1951)، (المستقبل لهذا الدين) (1953)، وفي (ظلال القرآن) على مدى عشرين عاما ثم كانت المرحلة السياسية (1954-1965م))- (حسن حنفي، 2008، 05).

أما الطور الثالث من حياته الفكرية، وكما أنهى سيد قطب المرحلة السابقة ببيان فضل الإسلام على الشيوعية المتمثلة في القوة الشرقية،

وتعرية النظام الشيوعي وبيان تهالكه وعدم واقعيته، فقد استهل هذا الطور؛ الطور الإسلامي العملي والحركي بإشهار قلمه في وجه الرأسمالية الغربية بأسلوب عجيب،وكانت البداية الفكرية من داخل حياة هذه المجتمعات ومن شهادات علمائها ومفكريها، وهو ما أدرجناه في مضمون هذا المقال من خلال المثاقفة التناصية، وأشهر كتابضمنه سيد قطب خلاصة تجاربه الإيمانية والفكرية ((في ظلال القرآن)) قال عنه الأستاذ محمد قطب: ((الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله، وعاشه لحظة لحظة، وفكرة فكرة، ولفظة لفظة.. وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان))-(قطب سيد، في ظلال القرآن، 1985، 09)،و يقول عن الكتاب أستاذ الدراسات القرآنية بالرياض (السعودية):((هو وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يسبق إليه سيد من قبل، منهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات ومطابقته المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح، ورسم مسار الدعوة والعودة إلى الله، ثم دراسة الإيقاع الصوتي، والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب بمنهج لم يسبق له مثيل في علم التفسير. أما طريقته في ذلك فخلاصتها أنه يقدم لكل سورة بمقدمة يبين فيها موضوع السورة

ومحورها وأهم سماتها، ثم يعرض لمقاطعها، ويربط بينها ببيان المناسبة))-(فهد بن عبد الرحمن سليمان الرومي، 2005م، 181-182)،وقد اعتبر بعض الدارسين المتخصصين في أعمال المؤلف بقوله: ((إنّ سيد قطب في الظلال، يعتبر (مُجَدِّدًا) في عالم التفسير لما أضافه من معان وأفكار حركية وتربوية على التفاسير السابقة، كما أن سيد في الظلال يعتبر مؤسسا لمدرسة جديدة في التفسير، هي (مدرسة التفسير الحركي)))- (صلاح عبد الفتاح الخالدي، 1994، 548)، وإذ نحن في هذه الورقة البحثية نتناول مدخلا من المداخل العديدة والمتنوعة التي ولج بها المؤلف النص القرآني لدراسته دراسة معاصرة وحديثة، سنعرج على طبيعة المثاقفة التناصية وأثرها في تشكيل وبناء النص التفسيري، ولا شك أن تلك المناصات كثيرة فاخترنا منها ما يناسب المقال حجما وأهمية.

الآليات المناصية وأثرها في إنتاج الخطاب:

المناصات وتوسيع دائرة المثاقفة:

التناص(intertextualité): مفهوم نقدي حداثي، يقابله مفهوم الاقتصاص في التراث النقدي العربي، وقد استخدمه النقد المعاصر كآلية للكتابة والقراءة معا،((فالتناص هو علاقة بين نصين أو أكثر. وهي

العلاقة التي تؤثر على طريقة قراءة النص المتناص(intertext)،أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها))-(أحمد فرج حسام 2009:194)، كما أنه إجراء تحليلي للوقوف على النصوص المدمجة ضمن النصوص الإبداعية أو المؤلفة من حيث طبيعتها ووظيفتها داخل السياقات الجديدة، ويعتبر ذلك نوعا من التحاور والتعاضد واستدراج نص الآخر ضمن المثاقفة الحيوية،وفهم طريقة تفكيره، ذلك أنّ هذه النصوص تحمل أصواتاالآخرين،وقد تتفق أو تتعارض، ((فتتنوع أشكال التناص بتنوع بنياته، فهو لا يقوم على التماثل فحسب، وإنّما قد يقوم على التقاطع أو التفارق أو التناقض أو الامتصاص والتفاعل))-(السعداني مصطفى،1987: 22).

تكمن فائدة المناص في تجاور الثقافات في بنى نصية متآلفة،إذ يأخذ النص المحتوي قيمة علمية، وإبداعية من خلال الدخول في علاقات حوارية وجدلية وإنسانية، ويثبت أنّ النص المستقبل له قابلية الاستيعاب والاحتواء، فالتناص ((وحدة كلامية تامة مستقلة نسبياّ، يحققها المتكلم بهدف معين، وفي إطار ظروف مكانية وزمانية محددتين، ويفرق بينها مجرّد توال لأيّ عدد من الجمل))-(واورزنياك/ زتسيسلاف،2003: 53)،ففي ((الدراسات اللسانية والسيميائية، تتم مقاربة مفهوم (التناص)وفق

طريقتين مختلفتين لكنهما متكاملتان: فالأولى هي اعتبار التناص خصوصية من خصوصيات النص الأدبي، ومكونا أساسيا من مكوناته، أمّا الثانية فهي التعامل معه بوصفه أداة إجرائية في تحليل النصوص. والتناص باعتباره مكونا من مكونات النص، فهذا يعني أنّ النص يتكون من نصوص أخرى مأخوذة من الثقافة المحيطة أو قادمة من آفاق وأزمنة أخرى. ومهما كان طابعه التجديدي، فإنّه يعيد إنتاج نصوص سابقة أو متزامنة معه، وهو ما يبعده عن الغرابة والغموض، ويدمجه ضمن دائرة أدبية أو إيديولوجية.))-(خمري حسين، 2007: 256).

يدخل النص بفعل المثاقفة والقيم الإنسانية والتاريخية والدينية المشتركة في ظاهرة التلبس،ويعطيها خاصية أساسية، خاصية التلون والتنوع، والإثراء الدلالي، والحيوية الفكرية، والعلمية والأدبية فـ((من هذا المنظور، يعرف النص بوصفه جهازا عبر-لغوي-translinguistic- يعيد توزيع نظام اللغة، وينظم العلاقة بين العبارة التواصلية التي تهدف إلى الإعلام المباشر والأنماط التلفظية المختلفة السابقة عليها والمتزامن معها))-(خمري حسين،2007:256)، يحلل الدكتور حسين خمري عناصر هذا التعريف بقوله:((النص باعتباره ملفوظا شخصيا، أي إنجازا فرديا يعيد التركيبة اللغوية والمنظومة السيميائية، ويوزعها توزيعا جديدا وفق

حاجاتها التعبيرية ورؤيتها الجمالية. وعن طريق هذه العملية الازدواجية (توزيع/إعادة بناء)، يقدّم النص بعملية احتواء وامتصاص بعض العناصر النصية الغريبة عن جهازه اللغوي، وإطاره المضموني وينسق بينها. وقد تنتمي هذه العناصر إلى ثقافات متباينة، وأجناس أدبية مختلفة))-(خمري حسين، 2007: 256)، فالوظيفة التناصية هي من قبيل الاستشهاد، ووضع النص في الحراك الثقافي المعاصر حتى يأخذ الصبغة التحيينيّة، وقد أطلق النقد المعاصر على النصوص المدمجة مفهوم المناص، وهو((مجموعة من التضمينات (implication) التي تتمثّل في الإحالات والاستشهاد والقطاعات المتبادلة بين النصوص الحالية في النص الكامل))-(خمري حسين،2007: 259).

إن المثاقفة التي نقصدها في هذه الورقة البحثية،هي تلك المحاورة التي تتم على مستوى النصوص، وذلك بإدراج نص الآخر، سواء كان اجتماعيا أو أدبيا أو تاريخيا أو علميا، والهدف هو قراءة النص القرآني وفق سياقات العصر بمشاركة نصية واسعة، إذ ((تتمثل المثاقفة في قدرة الثقافات الوطنية والتيارات الفكرية والأدبية والفنية على التحاور والتفاعل، مع احتفاظ نسبي ببعض الخصوصيات التي بدونها تفقد الثقافة صفة الأصالة))- (اليبوري أحمد، 2000: 37). ومن أهم مداخل المثاقفة

الهجرة والترجمة، ((ومما لاشك فيه أن الترجمة من الآليات التي يتم توظيفها لتحقيق ذلك التفاعل، بل يمكن اعتبارها من أنجع الوسائل التي ساهمت في خلق دينامية للتطور والتجديد في مجالات مختلفة، وفي أقطار متعددة. وفي إطار العلاقات الثقافية بين الشرق العربي والغرب، يلاحظ توسع وتنوع، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في انتقال النظريات العلمية والأدبية إلى مصر والشام، بصفة خاصة، وذلك ما يحدثنا عنه محمد حسين هيكل: في سنة (1875م)، كانت أوربا تموج بحرية فكرية قوية، غاية القوة، فكانت النظريات العلمية والفلسفية القديمة قد أخذت تنهدم، وتنهار أمام الفلسفة الواقعية التي مكّن لها (أوغست كونت) في فرنسا.. وكانت نظريات (لامارك) و(داروين) وغيرهما، ذات شأن يذكر، عند كثير من أصحاب هذه الفلسفة الواقعية. وكانت هذه النظريات ترِد إلى الشرق عن طريق بعض الغربيين الذين أقاموا فيها زمنا طويلا، وعن طريق بعض الشرقيين الذين تعلموا في المدارس الأوروبية. كان محتوما على هذا الاتصال المتزايد بين الشرق والغرب، ومع هذه الحركة العلمية والفكرية والأدبية الشديدة في الغرب أن تقابلها في الشرق حركة علمية وفكرية وأدبية جديدة)) (اليبوري أحمد، 2000: 37).

لقد عاش المؤلف سيد قطب بعضا من حياته في أوربا وأمريكا، وحاور أهلها وتعرف عليهم، وتبادل معهمالكثير من القضايا الفكرية والأدبية والسياسية والدينية والثقافية،حتى أن البعض قد وصف ظلاله بأنه يجمع ثقافة واسعة، فسمع منهم وسمعوا منه واستحضر الكثير من ثقافات الآخر في ظلاله، سواء تلك التي قرأها في مؤلفاتهم أو التي سمعها منهم، ونحن نستعير مصطلح التناص لهذه النصوص المستقدمة،لأنهاتمثل مثاقفة مناصية،إذ تدخل في علاقات بنائية، وحوارات ثقافية تلتقي عند النص الأصلي، ومن ثم يمكن القول: ((إنّ النص يتكون من مناصات، ودور الكاتب هو نظمها وتنسيقها وإقامة حوار بينها.وهنا تبرز وظيفة المناص في موضعة النص داخل المنظومة الثقافية وتشكيل بياناته السوسيو-ثقافية والتاريخية))- (خمري حسين ، 2007: 259)، ومن ثم ينتقل النص من سلطة اكتساب الحقيقة والامتلاك الفردي لها إلى الحوارية، وتكريس مبدأ المعرفة المشتركة، والاعتراف بالآخر وبمجهوده العلمي والثقافي والفكري، وتلوين النص بآثار الثقافة المختلفة، القديمة والحديثة،وإنتاجات الحضارات السابقة،ذلك أنّ((قيمة المناص تتجلى في المساعدة على مقروئية النص وتحريره من التسطيح العاري من التراث الثقافي))- (خمري حسين، 2007: 259).

يشتغل النص الظلالي على هذه الآلية في صورتها الواضحة لقراءة نصوص الآيات من زوايا مختلفة، كما يعيد الكاتب قراءة هذه المناصات ذاتها،فقد تكون من نافذة التقييم والنقد،أو من نافذة فهم النصوص التي يتم إدراكها، وفهمها من خلال العلاقات بين النص وهذه المناصات((فبهذا العمل، فإنّ التناص يوحّد/ ينظّم النصوص(المناصات) ويصيغها في شكل تعالق داخل فضاء نصي جديد))-(خمري حسين، 2007: 261).

تجليات مناصات المثاقفة :

المناص الاجتماعي:

إذا كانت القراءات التفسيرية قد اتجهت إلى النص القرآني تدرس الجوانب الخارجية للنص، فأولت اهتماما أكبر بسياقات الآيات، فإن النص الظلالي قد اتجه إلى الحركة المتولدة في عالم المخاطبين والواقع، وبذلك فهي قراءة مستقلة لا تتوقف عند النماذج القرائية القديمة ومروياتها المتواترة، فهي محاولة قرائية جديدة، فالتفسير يتعلق بالرواية والتأويل،ويتعلقبالدراية، وقد لاحظنا أنّ الدارس قد وجد سبيلا آخر لتفعيل قراءة النص القرآني، وذلك بتحويل الدلالة النصية إلى منظار إسقاطي خارج عن دائرة التفسير والتأويل معاً إلى إنزال النص إلى الواقع

المعاصر ليعالج به أمراضه وإفرازاته، ففي تعقيبه على الآيات (27-28) من سورة النساء، وهي آيات تؤسس قواعد لحماية المجتمع من أخطر المعاول الهدامة، والانحرافات الفتاكة للمجتمعات البشرية {**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا**](28) - (سورة النساء)((تكشف الآية الأولى القصيرة عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجه وطريقته، وحقيقة ما يريده بهم الذين يتبعون الشهوات ويحيدون عن منهج الله، وكل من يحيد عن منهج الله إنما يتبع الشهوات، فليس هنالك إلا منهج واحد، هو الجد والاستقامة والالتزام وكل ما عداه إن هو إلا هوى يتّبع، وشهوة تطاع وانحراف وفسوق وضلال.))-(قطب سيد ، 1985: ج1، 631).

لا يحلل سيّد نص الآيتين من حيث المعاني، بل يحولهما إلى آدتين تفسرتين لواقع البشرية ونواياها النفسية، فإذا كان المنهج الرباني يريد تنظيم الأسرة وحمايتها، وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة له، وأن ترتقي العلاقة بين الرجل والمرأة،فإنّ ((ما يريده الذين يتبعون الشهوات هوأن يطلقوا الغرائز من كل عقال: ديني، أو أخلاقي أو اجتماعي.يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح،

من أي لون كان، السعار المحموم الذي لا يقرّ معه قلب، ولا يسكن معه عصب، ولا يطمئن معه بيت، ولا يسلم معه عرض، ولا تقوم معه أسرة، يريدون أن يعود الآدميون قطعانا من البهائم، ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط، إلا ضابط القوة أو الحيلة، أو مطلق الوسيلة! كل هذا الدمار، وكل هذا الفساد، وكل هذا الشر باسم الحرية، وهي-في هذا الوضع- ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة.))-(قطب سيد، 1985: ج1 ص:632).

ومن باب توسيع الدلالات والتوجيهات والنقد الثقافي يحمل المؤلف النص ليعالج به واقع الآخر المتقدم، والذي عرفت أرضه تقدما في مجال الموضة؛((واللمسة الأخيرة في التعقيب، يتولى بيان رحمة الله بضعف الإنسان، وتمثلت في ذلك المنهج الذي يناسب التركيبة البشرية، فَيَسَّر لها ما تَيَسَّر اعترافا بدعوة الفطرة، وتنظيم الاستجابة لها في ظل النقاء والطهارة والارتقاء، وذلك ليس تكبيلا ومشقة، وإنما ذلك وهم كبير، وتعالوا فلننظر في العالم الذي تحرّر من كل القيود، ونظرة بسيطة هادئة تكفي لإلقاء الرعب في القلوب، إن حرية الجنس هي المعول الذي حطم الحضارة القديمة الإغريقية والرومانية والفارسية، إن إطلاق العنان لها هو الذي ينخر الأمم من الداخل، ويرمي بها لمستودع الآسن

والمستنقع الخبيث، وهذه الفوضى هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة، وهذا ما تشهده معظم الأمم الغربية في فرنسا وأمريكا، والسويد وإنجلترا، تلك الفوضى الأخلاقية كانت سببا في انهيار فرنسا أمام ألمانيا بسبب اضمحلال القوى الجسدية، والانهيارات المتدرجة اليومية، والعبودية للشهوات والأمراض السرية، وأقوال الأطباء والعلماءشاهدة على تلك الآثار الخطيرة التي أصابت الأمة الفرنسية والسويد وأمريكا..))-(قطب سيد ، 1985: 632- 635).

يحلل الناقد تلك الأوضاع تحليلا إحصائيا، محوّلا الخطاب إلى مجال مخابر التحليل الاجتماعي والأخلاقي، بل يستعين بكتابات الآخر لتوسيع الدائرة الدلالية والنصية للمنظار الإسقاطي، متحوِّلا إلى النقد الثقافي الاجتماعي؛ ((عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم، وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض، أولها: الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة، ورواجه بعد الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة، والثاني الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب، بل تلقنهم دروسا علمية في بابه، والثالث في انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء،هذه المفاسد الثلاث فينا إلى الزيادة

والانتشار بتوالي الأيام، ولا بد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين، وفناءهما آخر الأمر.))-(قطب سيد، 1985: ج2-636).

وبالنص الموثق وبلسان الإنسان الغربي ذاته يفتح المؤلف مساحة ثقافية نقدية للعلاقات الاجتماعية السائدة هناك وفق المنظور الثقافي لهم، ((فقد كتب (بول بيورو):من العادة الجارية في طبقة العاملين في فرنسا أنّ المرأة منهم تأخذ من خدنها ميثاقا قبل أن يعقد بينهما النكاح، أنّ الرجل سيتخذ ولدها الذي ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له. وجاءت امرأة في محكمة الحقوق بمدينة (سين-siene) فصرحت : إنني كنت قد آذنت بعلي عن النكاح بأنّني لا أقصد الزواج إلا استحلال الأولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالي به قبل النكاح. وأمّا أن أعاشره وأعيش معه كزوجة، فما كان في نيتي عند ذاك، ولا هو في نيتي الآن. ولذلك اعتزلت زوجي في أصيل اليوم الذي تمّ فيه زواجنا..))-(قطب سيد، 1985: ج2-634)

يواصل الدارس توظيف المثاقفة النقدية التناصية، ((قال عميد كلية شهيرة في باريس لبول بيورد: إنّ عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضا. ذلك أنهم يظلون مدة عشر سنين أو أكثر يهيمون في أودية الفجور أحرارا طلقاء. ثم يأتي عليهم حين من دهرهم

يملُّون تلك الحياة الشريدة المتقلقلة، فيتزوجون بامرأة بعينها، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته، ولذة المخادعة الحرة خارج البيت))-(قطب سيد، 1985: ج2-634). لقد كان لفعل النقد الثقافي أثرفي توسيع الدائرة الإسقاطية من خلال استثمار آليات المناصات المتعددة الوجوه من حيث المضمون والأسلوب والطريقة، فهي مناصات تاريخية، ونفسية، وعلمية واجتماعية. ولقد مثل التناص آلية قرائية مثمرة للنص الظلالي.

المناص النفسي:

ومن النقد الثقافي للعلاقات الاجتماعية وخطرها على البنى الاجتماعية، يلج المؤلف إلى عالم الإنسان من خلال تطبيقات الدراسات النفسية ومناهجها، وبلسان الآخر جاء فيه: ((أنّ عشر الذين يصلون إلى سن البلوغ في السويد يتعرضون لاضطرابات عقلية، ويقول أطباء السويد: إن (50) في المائة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم أمراضهم الجسدية.ولاشك أنّ التمادي في التمتع بحرية عدم الإيمان سيضاعف هذه الانحرافات النفسية، ويزيد دواعي تفكك الأسرة، ويقربهم إلى هوة انقراض النسل))-(قطب سيد، 1935: ج2/ 635-636)، ((والحال في أمريكا لا تقل عن هذه الحال. ونذر السوء تتوالى. والأمة الأمريكية في عنفوانها لا تتلفت للنذر. ولكن عوامل التدمير تعمل في

كيانها، على الرغم من هذا الرواء الظاهري، تعمل بسرعة، مما يشي بسرعة الدمار الداخلي، على الرغم من كل الظواهر الخارجية!!!))-(قطب سيد ، 1985: ج2/ 636).

يدخل صاحب الظلال من خلال توظيف هذه البنى النصية العلمية في نوع من التواصل مع الآخر للوقوف على مخاوفه واهتماماته، ((فالبنى النصية، وإن كانت قد أنجزتها كينونات لسانية إلا أنّها تكّون كينونات تواصلية-إذ-ليس النص بنية مقطعية ملازمة، ولكنّه وحدة وظيفية تنتمي إلى نظام تواصلي.))-(عياشي منذر، 2004: 119-120)، إذ يعمل الدارس على تكثيف المناصات، ولاسيما المنتمية إلى ثقافة الآخر ليفتح بها فضاءات الحوار والنقد والهدم والبناء والإصلاح، واستشراف الرؤى الفكرية المشتركة، فإذا كان المؤلف بين يديه نور رباني يكشف به من-خلال السنن والقوانين- عن الانحرافات الخطيرة، فإن الآخر بين يدية دراسة واقعية لعالم هذا الإنسان التائه، ((بالرغم من أننا بسبيل القضاء على إسهال الأطفال والسّل والدفتريا والحمى التيفودية. فقد حلت محلها أمراض الفساد والانحلال.

هناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبي والقوى العقلية. ففي بعض ولايات أمريكا يزيد عدد المجانين الذين يوجدون في المصحات

على عدد المرضى الموجودين في جميع المستشفيات الأخرى.كالجنون، فإن الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية آخذ في الازدياد. وهي أكثر العناصر نشاطا في جلب التعاسة للأفراد، وتحطيم الأسر.. إنّ الفساد العقلي أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية، التي قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن!))-(قطب سيد، 1985:ج2/ 637)،إن استحضار هذه المناصات وتوظيفها في هذه الترجمة يزيد من مصداقية الخطاب في مجال القراءة والنقد والتحليل،وتحريك جهاز القارئ الاستقبالي، و تنشيط ذاكرته الثقافية، بل يزيد من تصعيد درجة الدراسة من خلال العينات الإحصائية الثابتة عن دراسة الآخر، ((والجيل الجديد ينحرف..وهذه ظاهرة جديدة تهدد الجيل الجديد في السويد وباقي دول اسكندنافيا، إن افتقادهم للإيمان يجرفهم إلى الانحراف، وإلى الإدمان على المخدرات والخمور.

وقد قدر عدد أطفال العائلات التي لها أب مدمن بحوالي 175 ألفا. أي ما يوازي 10 في المائة من مجموع أطفال العائلات كلها.وإقبال المراهقين على إدمان الخمور يتضاعف. إن من يقبض عليهم البوليس السويدي وهم في حالة سكر شديد من المراهقين بين سن 15 و17 يوازي ثلاثة أمثال عدد المقبوض عليهم بنفس السبب منذ 15 عاما.

وعادة الشرب بين المراهقين والمراهقات تسير من سيء إلى أسوأ..ويتبع ذلك حقيقة رهيبة .))-(قطب سيد ، 1985: ج2/ 635).

المناص التاريخي:

تتطلب قراءة بعض النصوص مناصات تاريخية مناسبة لسياقها، وذلك ما يُفَعِّله الدارس عند تعقيبه على آيات البينة،{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4)وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚوَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ(5) (سورة البينة)،بقوله: ((وكان أول التفرق والاختلاف ما وقع بين طوائف اليهود قبل بعثة عيسى-ρ- فقد انقسموا شعبا وأحزابا.مع أنّ رسولهم هو موسى-ρ- وكتابهم هو التوراة، فكانوا طوائف خمسة رئيسية هي: طوائف الصدوقيين، والفريسيين، والآسيين، والغلاة، والسامريين، ولكل طائفة سمة واتجاه ثم كان التفرق بين اليهود والنصارى مع أن المسيح-ρ-هو أحد أنبياء بني إسرائيل وآخرهم، وقد جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة، ومع هذا فقد بلغ الخلاف والشقاق بين اليهود والمسيحيين حدّ العداء العنيف والحقد الذميم، وحفظ التاريخ من المجازر بين الفريقين ما تقشعر له الأبدان.)-(قطب سيد،1985: ج6/ 3950)، فـ((التناص حدث استدعاء الخبر للتعبير به في سياق آخر

لوجه من أوجه المشابهة بين الموقف أو الخبر القديم، والموقف الحالي، وكل ذلك صورة من صور من التناص ومفهوماته))-(رضوان ياسر، 2013: 20).

بالإضافة إلى مهمة مثاقفة التناص التحاورية والدلالية فإنّه بصورة أخرى، يساهم في بناء النص ونسجه،((فهذا النسج وذاك التشابك مع إشارته إلى فكرة التلاحم والانسجام، فإنه يستدعي أيضا أن تكون بعض خيوط هذا النسج من نسيج آخر، أو نص آخر، ولكنها اصطبغت بأصباغ النسيج الحالي، وتشابكت معها على النحو الذي لا تبدو معه على أنها جسم غريب في جسم النص، وإنما يحدث بينهما من التواؤم والقابلية المنوطة بالمقدرة الإبداعية للمبدع على النسج بهذه الطريقة المحكمة المتماسكة والمنسقة التي يظهر عليها النص الحالي، ولعل هذه الأخرى المكونة لنسيج النص أن تكون أنماطا لملفوظات عديدة سابقة على النص الحالي، أو متزامنة معه، ولعلها كذلك تكون موطئة لمفهوم التناص الذي تبنته كريستيفا، واحتذى على خطاها من جاء بعدها من علماء اللسانيات عامة، وعلماء النص خاصة.))-(رضوان ياسر، 2013: 27-28).

إنّ استحضار هذه النصوص التاريخية على الطريقة المثاقفة التناصية جاء لغاية فهم ذلك الصراع الذي نشب عبر التاريخ،ولوضع النصوص في صورة من الحيوية والفاعلية،وعلى إثر هذا التوظيفينسحب الكاتب إلى المنطقة الخلفية ليترك للآخر حرية التكلم، والمشاركة بمعرفته الخاصة، فيتحول النص في هذه المقامات إلى إثراء التسطيح بالمعرفة المشتركة والمتنوعة من خلال تفاعل الذوات وثقافاتهم،إذيدخل القارئ في جدل معها،فغاية التناص هو رفع درجات الإقناع والقبول، ومضاعفة مستوى المشاركة الحواريةوالحجاجية.

((فقد تجدد في أوائل القرن السابع من الحوادث ما بغّضهم (أي اليهود) إلى المسيحيين وبغّض المسيحيين إليهم، وشوه سمعتهم، ففي السنة الأخيرة من حكم فوكاس (610م) أوقع اليهود بالمسيحيين في أنطاكية، فأرسل الإمبراطور قائده (ابنوسوس) ليقضي على ثورتهم، فذهب وأنفذ عمله بقسوة نادرة، فقتل الناس جميعا قتلا بالسيف، وشنقا، وإغراقا، وإحراقا، وتعذيبا، ورميا للوحوش الكاسرة.. وكان ذلك بين اليهود والنصارى مرة بعد مرة، قال المقريزي في كتاب الخطط: وفي أيام (فوقا) ملك الروم، بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخرَّبُوا كنائس القدس، وفلسطين وعامة بلاد الشام، وقتلوا

النصارى بأجمعهم، وأتوا إلى مصر في طلبهم، وقتلوا منهم أمة كبيرة، وسبوا منهم سبيا لا يدخل تحت حصر، وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم، وأقبلوا نحو الفرس من طبرية، وجبل الجليل، وقرية الناصرة ومدينة صور، وبلاد القدس، فنالوا من النصارى كل منال، وأعظموا النكاية فيهم، وخربوا لهم كنيستين بالقدس، وأحرقوا أماكنهم، وأخذوا قطعة من عود الصليب، وأسروا بطرك القدس وكثيرا من أصحابه..))-(قطب سيد ، 1935: ج6/ 3950).

إن حضور النص التاريخي-وهو يؤسس لعلاقة المشاركةوإنجاز الفعل التأثيري- يسهم في توجيه الدلالة وتأكيدها ويفتح نافذة أخرى لتضيء النص أكثر من الإرث التاريخي، ((لقد ارتبط التناص في الدرس اللساني الحديث بالتعالق النصي بين نص وآخر، أو بتداخل النصوص، بما يعنيه من حضور نص في نص آخر، استدعاء أو تأثراً أو توارد خاطرة، أو غير ذلك من الأسباب التي تعلل حضور النص في نص آخر، انطلاقا من فكرة انتفاء المؤلف الواحد للنص الذي يتعالق معه لداع من الدواعي التي تخدم فكرته التي يريدها.))-(رضوان ياسر، 2013: 28)، ويمكن أن يطلق على التناص مفهوم الحوارية، تلك((التي تكشف مباشرة عما بين النصوص من التحاور والتجادل الذي يشير إلى وجود نصوص

مركزية وأخرى فرعية، قد تكون من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال السابقين وأشعارهم، وقد تكون من الثقافات الشعبية السائدة، وكلها يتم إسقاطها جميعا داخل النص المحدد.))-(رضوان ياسر، 2013: 31).

يقدم الدارس جملة من النصوص في صورة من التقابل والاختلاف في الفهم والتأويل، وهو في الحقيقة عرض للفهوم لإدخال هذه الآراء في نوع من الحوار،ويدخل معها القارئ مشاركا ومرجحا ومحاولا إدراك طبيعة النصوص وقيمتها التأويلية، إذ ((يتحدّد هذا الواقع الخارج نصي الذي يتشبع به القارئ، ويتحدّد به سوسيولوجيا وتاريخيا من مجموع البنيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية التي تسم مجتمعا معينا في لحظة تاريخية معينة. وبعبارة أخرى فإنه يتحدَّد (بالتاريخ) الثقافي والسياسي والاجتماعي الاقتصادي والإيديولوجي لدى جماعة معينة في عصر معين. وسواء أردنا أم أبينا فإن هذا التاريخ يؤثر فيما نقرأ ويوجه قراءتنا فهو يحدد إلى درجة كبيرة كيفيات بنائنا للمعنى وفهمنا للنصوص))-(شرفي عبد الكريم، 2007: 252).

المناص العلمي:

يعتمد الكاتب في معالجة بعض القضايا العقائدية على استحضار بعض النصوص العلمية مستشهدا بها ومفندا إياها، ويفصح بقوله عن وظيفة استحضار تلك النصوص:((ونحب أن ننبه أننا إذ نقتطف ما نقتطف، إنما نخاطب الماديين (العلميين) بلغتهم وليس هذا إقرار منا بصحة ما نستشهد به وسلامة منهجهم التفكيري والتعبيري في القضية التي نعرضها))-(قطب سيد ، 1985: ج2/ 1119)، ففي تعقيبه على قوله تعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (59)(سورة الأنعام)، فبعد أن يؤسس للقضية من مفهومها الديني الأصيل ينتقل إلى ما دار من فكر وجدل حول قضية (الغيب) يقول: ((نقف لنقول كلمة عن (الغيب) و(مفاتحه)، واختصاص الله-سبحانه-(بالعلم) بها، ذلك أن حقيقة الغيب من مقومات التصور الإسلامي الأساسية، لأنها (مقومات العقيدة الإسلامية) الأساسية، ومن قواعد الإسلام الرئيسية، وذلك أنّ كلمات (الغيب) و(الغيبة) تلاك في هذه الأيام كثيرا-بعد ظهور المذهب المادي- وتوضع في مقابل (العلم) و(العلمية)، والقرآن الكريم يقرر أن هناك

(غيبا) لا يعلم (مفاتحه) إلا الله، ويقرر أن ما أوتيه الإنسان من العلم قليل..وهذا القليل إن ما أتاه الله بقدر ما، يعلم هو سبحانه من طاقته ومن حاجته.))-(قطب سيد ، 1985: ج2/ 1113/ 2114).

ينتقل المؤلف بعد هذه الوقفة الظلالية إلى استحضار جملة من النصوص العلمية، ويبدأها بقول أحد العلماء الأمريكان المعاصرين، وهو يتحدث عن الحقائق التي يصل إليها العلم بقوله:((إن العلوم حقائق مختبرة، ولكنها مع كل ذلك تتأثر بخيال الإنسان وأوهامه ومدى بعده عن الدقة في ملاحظاته وأوصافه واستنتاجاته.ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ، وهي تبدأ بالاحتمالات، وتنتهي بالاحتمالات كذلك..وليس باليقين. ونتائج العلوم بذلك تقريبية، وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات، ونتائجها اجتهادية وقابلة للتعديل بالإضافة والحذف، وليست نهائية.وإننالنرى أن العالم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول: إن هذا هو ما وصلنا إليه حتى الآن، ويترك الباب مفتوحا لما قد يستجد من التعديلات.))-(قطب سيد ، 1985: ج2/ 1116).

يكثّف الكاتب من هذه النصوص في نفس السياق، ((يقول سير جيمس جينز-الإنجليزي- الأستاذ في الطبيعيات والرياضيات: (لقد كان

العلم القديم يقرر تقرير الواثق، أنّ الطبيعة لا تستطيع أن تسلك إلا طريقا واحدا: وهو الطريق الذي رسم من قبل، لتسير فيه من بداية الزمن إلى نهايته، وفي تسلسل مستمر بين علة ومعلول، وألا مناص من أن الحالة (أ)تتبعها الحالة (ب)، أما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن هو:أن الحالة (أ)يحتمل أن تتبعها (ب) أو (ج) أو (د) أو غيرها من الحالات الأخرى التي يخطئها الحصر. نعم إن في استطاعته أن يقول:إن حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالا من حدوث الحالة (ج) وإن الحالة (ج) أكثر احتمالا من الحالة (د)..وهكذا. بل إن في مقدوره أن يحدد درجة احتمال كل حالة من الحالات (ب) و(ج) و(د) بعضها بالنسبة إلى بعض. ولكنه لا يستطيع أن يتنبأ عن يقين: أي الحالات تتبع الأخرى. لأنه يتحدث دائما عما يحتمل.أما ما يجب أن يحدث فأمره موكول إلى الأقدار مهما تكن حقيقة هذه الأقدار!))-(قطبسيد، 1985: ج2/ 1117).

يعمق الناقد العملية التحليلية بالمتمثلات التناصية، ((ولنضرب لذلك مثلا ماديا يزيده وضوحا: من المعروف أن ذرات الراديوم وغيرها من المواد ذات النشاط الإشعاعي، تتفكك بمجرد مرور الزمن عليها، وتخلف وراءها ذرات من الرصاص والهليوم. ولهذا فإن كتلة من

الراديوم ينقص حجمها باستمرار، ويحل مكانها رصاص وهليوم. والقانون العام الذي يتحكم في معدل التناقص غريب غاية الغرابة. ذلك أن كمية من الراديوم تنقص بنفس الطريقة التي ينقص بها عدد من السكان، إذا لم تجد عليهم مواليد، وكانت نسبة تعرض كل منهم للوفاة واحدة بغض النظر عن السن؛ أو أنها تنقص كما ينقص عدد أفراد كتيبة من الجند معرضين لنيران ترسل عليهم اعتباطا، ومن غير أن يكون أحدهم مقصودا لذاته. ومجمل القول إنه ليس لكبر السن أثر ما في ذرة الراديوم الواحدة.فإنها لا تموت لأنها قد استوفت حظها من الحياة، بل لأن المنية قد أصابتها خبط عشواء.))-(قطب سيد ، 1985: ج2/ 1117).

لقد رأينا المؤلف يستحضر نصوصا حية من واقع الإنسان المعاصر، وذلك أسلوب علمي، ينتقل فيهالمؤلف بالنص من الملفوظ اللغوي إلى الواقع، ملاحظة وتجربة، لتأخذ الآية سبيلها النظري الذي يتضمن قانونا أساسيا من قوانين الحياة، فإنّ كل المناصات المدمجة لا تخرج عن موقفين؛ هما: تعزيز مواقف الكاتب وتأكيدها، وتحقيق فاعلية الإقناع والمقبولية لدى القارئ، أونقد فكر الآخر وأوضاعه القائمة من خلال جدل الأفكار، ووضعها في إطار الحوار والتواصل وفعل المثاقفة البنّاء، ومثل ذلك قوله: ((فهذا طرف من ما تتكلفه البشرية الضالة في جاهليتها

الحديثة من جراء طاعتها للذين يتبعون الشهوات ولا يريدون أن يفيئوا إلى منهج الله للحياة، المنهج الملحوظ فيه اليسر والتخفيف على الإنسان الضعيف. وصيانته من نزواته، وحمايته من شهواته، وهدايته إلى الطريق الآمن، والوصول به إلى التوبة والصلاح والطهارة.))-(قطب سيد، 1985: 635-636)،(**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا)(28)** - (سورة القرة).

يتحول نص الآية من خلال نص الآخر إلى أداة لتحليل أوضاع المجتمعات على أساس العينات والدراسات المستفيضة في عالم الأخلاق والإجرام والانحراف، وتحليل إشكالات المجتمع متدرجة في منهج علمي دقيق،ينطلق فيها المؤلف من عينات إنسانية وصولا إلى النظرية أوالقاعدة، وبذلك يأخذ النص حيويته وفاعليته من الثقافة والمعرفة والتفسير والتوضيح إلى تحليل الأشياء، ووضع البدائل، وتبصير القرّاء، وهي قراءة تحاور النص وتعرض عليه إشكالات إنسانية، قراءة فعّالة ومنتجة يطفو على سطحها التناص العلمي والتاريخي والاجتماعي، قراءة تتأسس على مبادئ عملية كاشفة،تتحول عبر الوقائع المشكلة وتغوص في أعماق مقصدية النص، وبذلك ينتقل القارئ من التخمين

والحدس إلى اليقين والحقيقة،كماتمثل تلك النصوص دعما تعاضديا قويا لقواعد التحليل والنقد القائمة على البرهنة والمنطق، فالدارس في منهجه القرائي يوظف نصوصا أخرى ذات روافد علمية، فهو لا يتوقف عند المعنى الأول أو حتى عند التفسير بل من التأويل إلى تحليل معضلات المجتمع، وبالتالي فالقراءة هنا وظيفية باحثة استكشافية، يستجيب فيها النص لخدمة الفكر، وحاجات الإنسان لرؤية الحقائق وإيجاد المخرج، فالمجتمع في حاجة إلى بوابة للخروج من ذلك الصراع أو ما يطلق عليه بتصادم الحضارات الذي يهدّد الإنسان والأرض، وفي محيط المثاقفة، وعلى هذا الأساس كان المنهج القرائي يشتغل في النص القرآني، وبذلك توسعت المنطلقات النصية في ضوء المرآة العاكسة، والمنظار الكاشف والمكبر للحقائق الغائبة.

الخاتمة:

وخاتمة المقال أن النص الظلالي بهذا المنهج كان يتطلع صاحبه إلى استيعاب المعرفة الإنسانية، فاتحا لها كل النوافذ، مادامت لاتتصادم في إجراءاتها التطبيقية مع روح النص، ومع مناهج النظرية الإسلامية في عمومها، فالنص الظلالي نص منفتح قابل للقراءة المنتجة، وتجديد التجربة الإبداعية في مجال التفاعل الثقافي، ذلك أن هذا النص المتعدد

المداخل الغني بثقافته قادر علىإغراء القارئ،بل يدفعه نحو الإنتاج في إطار المثاقفة التناصية القائمة على الاعتراف بالآخر،إذ يمثل عالما جديدا يستدعي من خلال منهجه وآلياته عوالم قابلة للإنشاء،وهذه إحدى الخصائص التي تميز بها الظلال عن غيره من القراءات السابقة.

ومن ثمّ كانت تلك الدعوة الواضحة والصريحة من المؤلف نفسه لمعايشة التجربة الظلالية وإثرائها ثمّ مجاوزتها إلى الضفة الأخرى، ضفة النص الأصل؛ وهو القرآن الكريم، إذ يقول في هذا الصدد:((وإني لأهيب بقرّاء هذه الظلال، ألا تكون هي هدفهم من الكتاب. إنما يقرؤونها ليدنوا من هذا القرآن ذاته. ثم ليتناولوه عند ذلك في حقيقته، ويطرحوا عنهم هذه الظلال، وهم لن يتناولوه في حقيقته إلا إذا وقفوا حياتهم كلها على تحقيق مدلولاته وعلى خوض المعركة مع الجاهلية باسمه وتحت رايته... ولكن هذا القرآن يعطيك بمقدار ما تعطيه؛ ويتفتحعليك في كل مرة بإشعاعات وإشراقاتوإيحاءات وإيقاعات بقدر ما تفتح له نفسك؛ ويبدو لك في كل مرة جديدا كأنك تتلقاه اللحظة، ولم تقرأه أو تسمعه أو تعالجه من قبل))- (قطب سيد، 1985، ج4/ 2039)

نقل الظلال قارئه من القراءة التقليدية إلى المثاقفة التناصية،فهو يمثل قراءة تشخيصية نقدية للواقع المعاصر بأدوات جديدة، وبروح أدبية وفكرية وثقافية تعمل على إعادة المتلقين-على مختلف ثقافاتهم وأجناسهم- إلى نقطة البداية،ثم الانطلاقة الحقيقية لقراءة النص قراءة جدّية، باستثمار المنتوج الإنساني قديمه وحديثه، فالنص الظلالي رسالة لغوية تشكلت وفق السياق المعاصر للمؤلف من خلال جدلية الصراع الذي عرفه العالم العربي والإسلامي مع نفسه، ومع الآخر في منتصف القرن العشرين الأول،رسالة آخذة في ذلك بحركته، وواقعه الحي وأفكاره المتشكلة، ويظهر ذلك من خلال البنية النصية الظلالية التي وضعت الجيل المتلقي المعاصر في سياقه الحاضر من خلال الفعل القرائي المشخص والمحلل، وعلى أساسه تشكلت استراتيجية القراءة من خلال؛ الرؤية في الكتابة، والحركة في العمل، والمحاورة بالاعتراف.

لقد شكلت المثاقفة التناصية – من بين المداخل القرائيةالكثيرة – مدخلا ومنهجا قرائيا مضادا للقراءات السابقة، وبهذه الرؤية المضادة كونت لنفسها معايير قرائية تشتغل بكيفيات وآليات مناسبة حسب العصر والصراع بين القراءات السائدة والقراءة المضادة المخالفة. وبذلك فهي تفتح آفاقا أخرى للقراءة ومحاورة الآخر، واستثمار المعرفة الإنسانية

في إطار التبادل الثقافي النقدي، لعلها تتفق على نقطة التحاور البنّاء والاتصال الإنساني في أسمى لحظات التعايش والتقارب، وحماية كوكب الأرض والإنسان من ويلات التطاحن والحروب، وإنقاذ البشرية كلها من الصراع، ومن تطرفها وهي تواجه مخاطر الفناء.

-القرآن الكريم-(رواية حفص-المصحف الإلكتروني).

قائمة المراجع:

- أحمد فرج حسام، (1430ه/ 2009م)، نظرية علم النص، ط2، القاهرة، مكتبة الآداب.

- البيروني أحمد، (2000)، في الرواية العربية التكون والتشكيل،ط1،(الدار البيضاء)،شركة النشر والتوزيع المدارس.

- الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، (1426ه/ 2005م)دراسات في علوم القرآن الكريم-الرياض- المملكة العربية السعودية.مركز تفسير للدراسات القرآنية.

- السعدني مصطفى، (1987م) المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية)، الإسكندرية، منشأة المعارف.

- حسن حنفي، (2008)، سيد قطب (1906-1966) الأعمال الشعرية الكاملة (دراسة في أشعار سيد قطب) دمشق،مركز الناقد الثقافي- مؤسسة ثقافية فنية مستقلة.

- خمري حسين، (1428ه-2007م)، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات اختلاف.

- رضوان ياسر، (2013)، (الدار البيضاء)التناص القرآني الكريمة)، (دراسة في شكل العلاقة بين الآيات القرآنية الكريمة)، إفريقيا الشرق.

-شرفي عبد الكريم، (1428ه/ 2007م) من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط1، الجزائر، منشورات اختلاف.

- صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد (1414هـ / 1994)، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

- قطب سيد، (1405هـ-1985م)، في ظلال القرآن،ط11، (طبعة منقحة مصوبة فيها إضافات تنشر للمرة الأولى)، بيروت- القاهرة،دار الشروق.

- نويهض عادل، (1409ه/ 1988م) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

- واورزنياك زتسيسلاف، (2003) مدخل إلى علم النص ترجمة وتعليق: د/ سعيد حسين بحيري، ط1، القاهرة، مؤسسة المختار.